لفضيلة الشيخ العلامة يحيى بن علي الحجوري

نصيحة وإنذار باجتناب الفتن والدمار

● الحمد لله رب العالمين وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين أما بعد:

فإن الله عز وجل ما خلق الخلق إلا لعبادته وما أوجدهم إلا للانقياد والاستسلام لشرعه سبحانه وتعالى يقول الله عز وجل (وما خلقت الجن والانس إلا ليعبدون) الذاريات: ٥٦ وقال الله تعالى (فلا وربك لا يؤمنون حتى يُحكِّمُوك فيما شجر بينهُم ثمَّ لا يجدوا في أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما) النساء ٦٥.

أن الأمن نعمةٌ عظيمة وهو مطلب عزيز وكنزٌ ثمين لان الأمن هو أساس الحياة الإنسانية كلها، قال الله تعالى: (فليعبدوا رب هذا البيت × الذي أطعمهم من جوع وأمنهم من خوف) قريش ٣-٤ وقال النبي صَلى الله عليه وسلم (من أصبح منكُم آمِنا في سربه معافى في جسده عندهُ قوت يومِه فكأنما حيزت لهُ الدنيا [بحذافيرها]) رواه التِرمذي عن عبد الله بن محصن رضي الله عنه.

فإذا اختل الأمن وزعزعة أركانه فلا تسأل عمَا وراء ذلك من الفتن والفساد الكبير، لان الأمن والإيمان قرينان متلازمان، إذ كيف تقوم الحياة دون امن واستقرار؟! وكيف تكون عبادة الله تعالى وارتياد المساجد وأداء الشعائر دون امن واستقرار؟!

إن أعداء الله من اليهود والنصارى والكافرين وأذنابهم لا يريدون للأمة الإسلامية أن تعيش في امن وأمان متماسكة البنيان، انهم يريدونها أن تعيش في تفرق وتمزق وقتل وقتال فيما بينها حتى تُنتهك حُرُماتها وتُتلف مُمتلكاتها ويُزعزع أمنُها وتُشوه صورة الإسلام الناصعة، عملا بقاعدة: [فرِّق تسُد].

ولهذا فإن أي بلد تثار فيه الفتن والمظاهرات والخروج على ولاة الأمور يتزعزع أمنه وتنتشر فيه الفوضى والشغب الذي يؤدي إلى القتل والقتال وسفك الدماء وانتهاك الأعراض ونهب الأموال وقطع الطرقات ويطمع أعداء الإسلام فيهم، فيتخذوا من تلك الأعمال ذرائع يتسلطون بها على بلدان المسلمين، ويا لها من فتنة تحصل على العباد إذا وكلوا أمورهم إلى ذوي الفتنة والأهواء، الذين يقومون بتغرير جهلاء الناس الذين لا يدركون ما الأمور فيفسدون في الأرض ويسفكون دماء المسلمين، فلا هم للإسلام ناصرون ولا للحق مظهرون وما هي إلا مطامع دنيوية وأفكار منحرفة يُشعلون بها نار الفتن والله تعالى يقول (كلما أوقدُوا نارا للحرب أطفأها الله ويسعون في الأرض فسادا والله لا يحب المفسدين) المائدة ٦٤، فأين عقول كثير ممن يدَّعون الإسلام ؟! أين خوفهم من الله ؟!

ان هذه المظاهرات ليس لها أصل في ديننا البتة ولم يفعلها النبي صلى الله عليه وسلم الصحابة رضي الله عنهم ولا التابعون ولم يُفت بها احد من أهل العلم الموثوق بهم في هذا العصر وهي من التشبه بالكافرين وهي أصل دعوة الخوارج الذين يخرجون على ولاة الأمور ويسفكون الدماء ويكفرون المسلمين وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (ان دماءكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرامٌ كحُرمة يومِكم هذا في بلدكم هذا في شهركم هذا وستلقَون ربكم فيسألكم عن أعمالكم ألا فلا ترجعوا بعدي كفارا يضرب بعضكُم رقاب بعض) رواه البخاري ومسلم عن أبي بكرة رضي الله عنه.

وبيّن الله عظمة الإسلام وعظمة التشريع في حفظ الدماء وان من قتل نفسا واحدة ظلما فكأنما قتل الناس جميعا قال الله تعالى : (انه من قتل نفسا بغير نفس أو فساد في الأرض فكأنما قتل الناس جميعا ومن أحيَاها فكأنما أحيا الناس جميعا) المائدة ٣٢، وقال الله تعالى : (ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤُهُ جهنَّمُ خالدا فيها وغضب الله عليه ولعنه وأعد لهُ عذابا عظيما) النساء ٩٣، وقال صلى الله عليه وسلم : (لزوال الدنيا أهون على الله من قتل رجلٍ مسلم) رواه الترمذي عن عبدالله بن عمرو رضِي الله عنهما.

فهنيئا لمن خرج من الدنيا ولم يتلطخ بدم مسلم يأتي به يوم القيامة، لأن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (يجيء المقتول [يوم القيامة] مُتعلقا بالقاتل تشخبُ أوداجه دما فيقول أي ربِّ سل هذا فيمَ قتلني ؟!) رواه احمد والترمذي والنسائي عن ابن عباس رضي الله عنهما، فأين يذهب هؤلاء القتلة المجرمون من شهادة ان لا اله إلا الله إذا جاءت تحاجهم يوم القيامة؟! كما قال النبي صلى الله عليه وسلم لأسامة :أقتلته بعد أن قال : لا إله إلا الله ؟ فقال . أي اسامة . يا رسول الله إنما قالها متعوذا فجعل يكرر عليه : أقتلته بعد أن قال : لا إله إلا الله ؟ كيف تصنع . أي أسامه . بلا اله إلا الله . أي إذا جاءت يوم القيامة ؟! قال : فلقد تيمنت أني لم أكن أسلمت قبل ذلك اليوم . البخاري ومسلم.

ولأهمية الأمر وخطورته لم يجعل الإسلام ارتكاب ولاة أمور المسلمين لبعض المعاصي مبررا للخروج عليهم قال الله عز وجل : (يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم) النساء ٥٩.

وأمر النبي صلى الله عليه وسلم بطاعة ولاة الأمور والصبر عليهم وان جاروا قال النبي صلى الله عليه وسلم : (تكون أثره - وهي استئثار الأمراء بأموال بيت المال - وأمور تنكرونها قالوا : يا رسول الله فما تأمرنا قال : تؤدون الحق الذي عليكم وتسألون الله الذي لمن) رواه البخاري ومسلم عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (من رأى من أميره شيئا يكرهه فليصبر عليه فإنه من فارق الجماعة شبرا فمات ألا مات ميتةً جاهلية) رواه البخاري ومسلم عن ابن عباس رضي الله عنهما.

ففيه أن الخروج على ولاة الأمور من أمر الجاهلية التي يجب على المسلمين البعد عنها وان من خالف ذلك لم يجنِ على نفسه وعلى غيره إلا الويلات والفتن.

وفي التاريخ من ذلك أوضح العبر فقد جرب المسلمون الخروج على ولاة الأمور فلم يروا منه إلا الشر والفتن فقد خرج الخوارج على خليفة المسلمين عثمان بن عفان رضي الله عنه، صحابي جليل ومن المبشرين بالجنة، استحلوا دمه وقتلوه وهو يقرأ القرآن، وهكذا خرج الخوارج على خليفة المسلمين علي بن أبي طالب، استحلوا دمه وقتلوه وهو خارج لصلاة الفجر، وهكذا في سلسلة طويلة من خروج الخوارج على ولاة أمور المسلمين وإثارتهم للفتن، فالخوارج فرقةٌ من فرق الظلال، فهم رأس الفساد ورأس البدعة ورأس الشقاق فهم الذين فرقوا كلمة المسلمين واضعفوا جانب المسلمين .

فلهذا لم يمدح النبي صلى الله عليه وسلم أحدا خرج على ولاة الأمور وأحدث فتنةً وقتالا ونزع الطاعة وفارق الجماعة، بل قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (من أتاكم وأمركم جمِيعٌ على رجل واحد يريد أن يشق عصاكم أو يفرق جماعتكم فاقتلوه [كائنا من كان]) رواه مسلم من حديث عرفجة الاشجعي رضي الله عنه، ففي ذلك بيان أن الإسلام يُراعي المصالح العامة ولا يجوز دفع الشر بشر اكبر منه بإجماع المسلمين والقاعدة الشرعية تقول: (درء المفاسد مقدم على جلب المصالح) ولهذا يجب الصبر والسمع والطاعة في المعروف ومناصحة ولاة أمورنا والدعوة لهم بالخير، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (اصبروا فإنه لا يأتي عليكم زمانٌ إلا الذي بعده أشر منه حتى تلقوا ربكم) البخاري عن انس بن مالك.

ولهذا فليحذر أهل اليمن الذين قال فيهم النبي صلى الله عليه وسلم : (الإيمان يمان والفقه يمان والحكمةُ يمانية) البخاري ومسلم عن أبي هُريرة رضي الله عنه.

فليحذروا من الانسياق وراء أدعياء كل فتنة ومؤجِّجي كل محنة، من أصحاب الأفكار المنحرفة والمطامع الدنيوية الذين يجرون اليمن إلى هاوية الدمار والخراب والقتل والقتال وقد قال الله تعالى (واتقوا فتنةً لا تصيبنّ الذين ظلمُوا منكُم خاصَّة واعلموا أن الله شديدُ العقاب) الأنفال ٢٥، وقال النبي صلى الله عليه وسلم مبينا خطورة الفتن : (يُوشِك أن يكُون خير مال المسلمين غنمٌ يتبعُ بها شَعفَ الجبال [أي رؤوس الجبال] ومواقع القطر يفرّ بدينه من الفتن) رواه البخاري عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

ولهذا كان حظ السعداء اجتناب الفتن كما قال النبي صلى الله عليه وسلم (أن السعيد لمن جُنِّب الفتن أن السعيد لمن جُنِّب الفتن أن السعيد لمن جُنِّب الفتن ولمن ابتُلي فصبر فواها [أي فواعجبا له]) رواه أبو داود من حديث المقداد بن الاشود رضي الله عنه.

ان الله تعالى أمرنا بالرجوع إلى العلماء الربانيين الذين عرفوا بصدق الدعوة وخصوصا وقت الفتن لأن وقت الفتن يختلط الحق بالباطل وتشتبه الأمور على كثير من الناس قال سبحانه وتعالى: [وإذا جاءهُم أمرٌ من الأمن أو الخوفِ أذاعُوا به ولو ردُّوهُ إلى الرسول والى أولِي الأمر منهُم لعلِمهُ الذين الذين يستنبطونهُ منهُم]النساء ٨٣

إن تكالب الأعداء على الأمة الإسلامية يدعو المسلم الغيور لأن لا يكون معول هدم في يد أعداء الإسلام من حيث يدري أو لا يدري، على المسلمين أن يتفقهوا في دين الله، لأن المسلم متى ما تفقه في الدين وخضع في سلوكه وأعماله وتصرفاته كلها لشرع الله بعيدا عن الفتن، سلِم منهُ العباد والبلاد مصداقا لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : (من يرُد الله به خيرا يفقههُ في الدين) متفقٌ عليه من حديث معاوية.

فما أحوجنا أيها المسلمون إلى وحدة الصف وجمع الكلمة والاعتصام بكتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم على فهم الصحابة الأخيار رضي الله عنهم بعيدا عن التفرق والتنازع لقوله سبحانه وتعالى (واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا) آل عمران ١٠٣

وقال الله تعالى: (ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم واصبروا ان الله مع الصابرين) الأنفال ٤٦

اللهم اجمع كلمة المسلمين على الحق، اللهم من أرادنا وبلاد المسلمين بسوءٍ فاشغلهُ بنفسه واجعل كيدهُ في نحره يا ربَ العالمين .. اللهم آمين.

«الرفع في تكبير الجنازة»

● نلاحظ أثناء صلاة الجنازة رفع المصلين لأيديهم أثناء التكبيرات .. فما الأمر الشرعي الوارد عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم في ذلك؟

– الجواب: عند تكبيرة الإحرام فقط لعدم ورود دليل صريح صحيح مرفوع إلى الرسول صلى الله عليه وآله وسلم أنه يشرع الرفع عند سائر التكبيرات غير تكبيرة الإحرام لا من قوله ولا من فعله ولا من تقريره.

«يصلى عليه»

● ماحكم من مات تحت هدم يتعذر إخراجه هل يصلى عليه في مكانه؟

– الجواب: نعم يصلى عليه كما يصلى على القبر.

«يصلى عليه»

● من مات غرقاً في البحر ولم يعرف مكانه هل يصلى عليه صلاة الغائب؟

– الجواب لامانع من الصلاة عليه صلاة الغائب لكونه مات ولم يصلّ عليه أحد.

«يكمل التكبيرات»

● ما حكم من أدرك الإمام في صلاة الجنازة وقد سبقه الإمام ببعض التكبيرات .. هل يقضي ما فاته أو يسلم مع الإمام؟

– الجواب: لا يسلم بعد الإمام بل يقضي ما فاته من التكبيرات فوراً بعد التسليم قبل رفع الجنازة.

إعداد/ عبداللطيف حزام الصعر